الرحلة الحديثة

(٣) معرض الحكومة الانكليزية

اقام سكان بريطانيا معارض خاصة في المعرض الكبير كما اقام سكّان ولاياتها عبر البحر كاهالي كندا واستراليا. فرجال الاعمال الهندسية الكبيرة الذين يصنعون السفن والكباري (الجسور) وسكك الحديد والآلات البخارية وما اشبه اقاموا معرضاً خاصًّا وهو معرض الهندسة . ورجال الصناعة الذين يستعملون تلك الآلات في صنائعهم كالورّاقين والنساجين والصباغين والطباعين والخياطين والصاغة اقاموا معرضاً خاصًّا كما سيجيء وهو معرض الصناعة. والحكومة او البلاد نفسها بنوع عام اقامت معارض خاصّة ومن ذلك معرض الحكومة البريطانية او سرادقها واسمهُ عندهم British Government Pavilion وهو صغير في جنب معرض الهندسة ومعرض الصناعة ولكنهُ جمع اخص ما يرقي الامم اي اصول العلوم الطبيعيّة والرياضية وما يبنى عليها من المكتشفات والمخترعات وما ارتقى بها كالزراعة والصناعة والتجارة . فهو عنوان عظمة الامة البريطانية ومثال ما فيها من وسائل العمران . تراهُ صغيراً في جنب المعارض الكبيرة التي يملأ الواحد منها بضعة افدنة لكنهُ كبير في ذاته مهيب في بنائهِ متربع كالطود خالٍ من الزخرفة يحرس مدخلهُ تماثيل ستة اسود كبيرة رابضة امامهُ فاغرة افواهها تنظر الى العالم شزراً . تدخلهُ من ابواب سفلى او ترتقي اليهِ على سلم واسع فترى امامك حلقة واسعة تامة الاستدارة والناس وقوف حولها ينظرون الى ما تحتها . تقف بينهم حيثما تجد مكاناً للوقوف فاذا تحتها في ارض الطبقة السفلى خريطة الارض كلها بقارّاتها واوقيانوساتها وبحارها وجبالها ووهادها اسيا واوربا وافريقية واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وسائر الجزائر . والسفن تمخر امام عينيك في البحار الواسعة كأنها تنقل البضائع والركاب من قارة الى اخرى ومن مرفأ الى آخر في الامبراطورية البريطانية وتحت هذه الخريطة وتحت مائها انوار كهربائية تنير تلك الاملاك والسكك البحرية. ووراء هذا المشهد منخفض آخر وهو الذي تمثل فيهِ المعارك البحرية كما تقدم في مقتطف نوفمبر

ثم تنتقل في غرف هذا المعرض فترى فيها ما اشرت اليهِ آنفاً من اركان العلوم والفنون . وقد لا يخطر على بالك شيء من المستنبطات الا وجدتَ لهُ امثلة في هذا

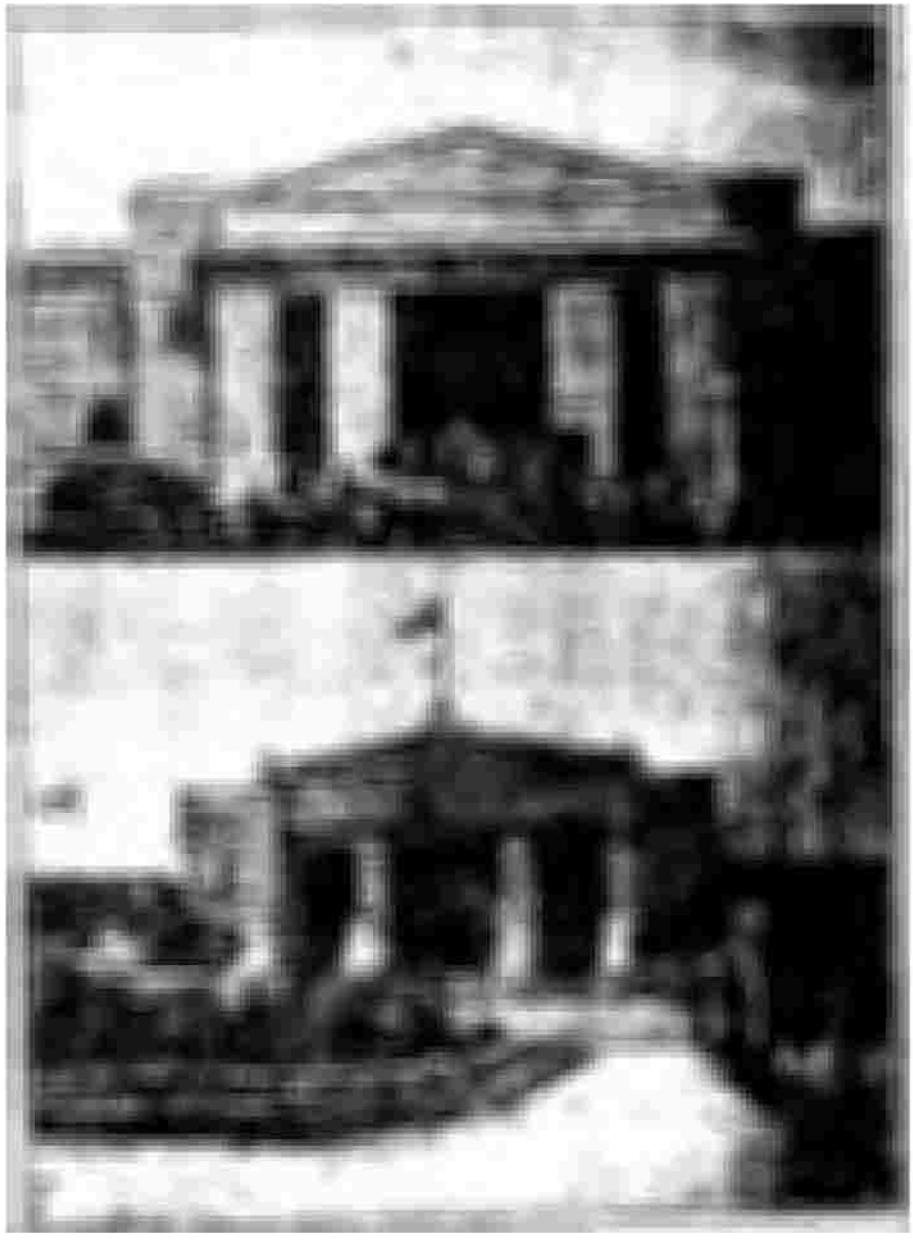

العليا صورة معرض الفنون والسفلى صورة معرض الحكومة

المعرض تريك تدرجهُ في الارتقاء من حين كان في حالة السذاجة القصوى الى ان بلغ اسمى ما صار اليهِ الآن. كيف لا وهو صورة مصغرة للامبراطورية البريطانية التي تضم ٤٦٠ مليوناً من السكان فترى فيهِ امثلة الاسلحة من اول عهدها الى الآن وامثلة المزروعات ذوات الحبوب وذوات الاثمار وذوات الالياف وما يزرع لاجل خشبهِ او لاجل زيتهِ او صمغهِ . ومباني الناس من الاكواخ الصغيرة الى الفخم قصور الهند وهياكلها ومساجدها . والآلات والادوات على اختلاف انواعها واشكالها . وامثلة من اواضي الامبراطورية البريطانية عامرها وغامرها . فان في الامبراطورية نحو خمسة آلاف مليون فدان تصلح للزراعة وليس فيها من الانكليز العاملين بالزراعة الاَّ نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون ومن بقي فمن الهنود وغيرهم من الامم التي تحكمها الامة الانكليزية . ولا يزال في كندا واستراليا وزيلندا الجديدة والمستعمرات الافريقية اراضٍ شاسعة جدًّا تصلح كلها للزراعة وتربية المواشي عدا ما في جبالها ووهادها من المعادن المختلفة وفي بحارها وبحيراتها من انواع السمك وفي غياضها وحراجها من انواع الخشب والحيوانات التي تصاد. والغرض الاكبر من عرض امثلتها ترغيب الناس في المهاجرة واستثمار خيراتها

وقد مُثلت هنا اعمال الحكومة المختلفة وما يعمل فيها كدار البريد ودار ضرب النقود والحدائق وادارة المعادن وادارة الصحة واساليب بحثها في امراض البلدان الحارَّة. وفي تمثيل البريد ما يستوقف النظر فترى آلات صغيرة تحمل الرسائل وتصعد بها وتنزل وتنتقل من مكان الى آخر كأنها احياء عاقلة

وكل من يدخل هذه الدار ويجول فيها يخرج منها وقد وقف على امور كثيرة كان يجهلها . واستعظم شأن الامة التي بنتها وجمعت ما فيها

(٣) معرض الفنون

هذا المعرض شبيه بمعرض الحكومة المذكور آنفاً في بساطة بنائهِ كأن الذين رسموهُ رأوا انهم عاجزون عن معارضة قصر الفنون الذي انشيء في معرض باريس من حيث الفخامة والزخرفة فاختاروا ابسط ما يكون من الاشكال لانهم لم يتوخوا بقاءهُ كما توخى الفرنسويون بقاء قصر الفنون ولا معنى للزخرفة فيما يبنى اليوم ليهدم غداً لاسيما وانهُ بعيد عن لندن اما قصر الفنون في معرض باريس ففي قلب المدينة ولذلك بني بالحجر والرخام وانواع المرمر حتى يبقى اثراً خالداً وداراً للفن الفرنسوي ولذلك افرغ المهندسون والبناؤون والنحاتون اقصى مهارتهم في بنائهِ وتزيينهِ

ومعرض الفنون في ومبلي بسيط ايضاً فيما يحويهِ فما فيهِ من الاثاث والصور والتماثيل لا يقاس مثلاً بما في معرض ولس في لندن ولا بما في قصر همتن او غيره من القصور الملكية الانكليزية. والظاهر ان الغرض الاكبر منهُ علمي اي اظهار تاريخ الفن البريطاني وتقدمهِ منذ نشأتهِ الى الآن في البلاد الانكليزية نفسها وفي ولاياتها ومستعمراتها. فبعض ما عُرض فيهِ لم يُعرَض قبلاً في العهد الحديث وهو يشمل اثاث البيوت والمعابد كما يشمل الصور والتماثيل. وبعض الصور والتماثيل آتٍ بهِ من انحاء الامبراطورية المختلفة كالهند وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة وبرما وجنوب افريقية فهو من هذا القبيل معرض فني للامبراطورية البريطانية كلها

ويمتاز على كل المعارض بقصر مصغر وضعتهُ فيهِ ملكة الانكليز يمثل قصراً تاماً من القصور الحديثة داخلاً وخارجاً بما فيهِ من الاثاث والرياش والخدم والحشم والمركبات والاصطبلات وعتادها كلها بموادها والوانها الطبيعية. واول شيء يفعلهُ من يدخل هذا المعرض مشاهدة هذا القصر فترى الناس يطوفون حولهُ جيشاً مرصوصاً رصًّا يدخلون من باب علوي ويخرجون من باب سفلي دائرين حولهُ في شكل حلزوني وكلٌّ منهم يدفع نصف شلن لدخولهِ. ولما بلغ عدد الداخلين مليون نفس وبلغ ما دفعوهُ ٢٥ الف جنيه تبرعت بها الملكة للاعمال الخيرية

وكنت قد رأيت كلاماً كثيراً عن هذا القصر في الجرائد والمجلات الانكليزية لم ارَ ما يمائلهُ عن فرع آخر من فروع المعرض فلما وقع نظري عليهِ وطفت حولهُ صغر في عيني ولم استطع ان اقسر الاشادة بذكره الا بان التزلف الى الملوك لا يزال متملكاً على الطباع

والفنون كلها من الكماليات لا تشبع من جوع ولا تدفىء من برد ولا تشفي من مرض ولا تقلل مشقة الانتقال فشتان بينها وبين ما عُرض في الاقسام الاخرى من المعرض ولكن للنفوس غذاء كما للابدان وهي ترتاح الى الفنون وتتغذى بها ولولاها ما امتاز الانسان عن العجماوات في معيشتهِ

(٤) معرض الهندسة

معرض الهندسة اول معارض الامة الانكليزية واهمها لان عظمة الامبراطورية البريطانية قائمة على الاعمال الهندسية. فالرواد والمكتشفون والفاتحون يكتفون بكشف البلدان البعيدة او فتحها ولشر الراية البريطانية عليها ولكن المهندسين يبنون السفن والسكك والجسور والسدود ويعملون كل الاعمال الهندسية لاحياء

موات الارض وايصال وسائل العمران اليها بالاعمال الزراعية والصناعية والتجارية. ففي هذا المعرض يظهر استخدام العلم للعمل باوضح الاساليب قديماً وحديثاً العلم الرياضي والعلم الطبيعي فمن رافعة (ونش) ترفع مئات من القناطير كأنها ترفع قشة الى لهب كهربائي يخرق الفولاذ كأنهُ يخرق الورق ومن القاطرة الاولى التي صنعها ستفنصن وكانت تسير ثمانية اميال في الساعة الى قاطرة حديثة تقطع مائة ميل في الساعة جارة عشرات من مركبات الركاب على غاية السهولة والامن . وترى هناك الشيء الكثير من الآلات التي اوجدها العلم لتسهيل الاعمال فان مائتي معمل عرضت سيارات ودراجات مختلفة الاشكال والاقدار بعضها للركوب وبعضها للنقل وبعضها للحرث . وارسلت معها اناساً يبينون فوائدها ويفصلون كيفية استعمالها. ولا تقف الآلات عند حد الحركة والنقل بل منها ما يصل الى اعمق دقائق العلم الهندسي الى اكتشاف ما يحل بالمعادن من التعب والعياء اذا طال استعمالها فتعجز او تتكسر لغير سبب ظاهر

وما في هذا المعرض من الآلات المختلفة لا يقف دائماً ساكناً بل يدور ويعمل عملهُ كلما قصدت ادارتهُ . والمحرك لهذه الآلات كلها آلة بخارية كبيرة تتحول قوتها الى كهربائية تتصل بالآلات المختلفة فتديرها كلما اريدت ادارتها وتتصل ايضاً بمصابيح كهربائية فتنير المعرض كلهُ

ويقال انهُ ليس في المسكونة كلها مكان فيهِ من الآلات الكهربائية الحديثة ما في هذا المعرض . لاسيما وانها مجهزة للقيام بكل الاعمال كبيرة كانت او صغيرة ضعيفة او قوية قريبة او بعيدة فلا يخطر على البال عمل الا وترى آلة كهربائية تصلح لهُ والوسائل التي تنقل بها القوة اليهِ بل منها ما تستعمل فيهِ الكهربائية لا للادارة بل لتوليد الحرارة لاجل الطبخ او لاجل التدفئة . اما ما فيهِ من السفن والقاطرات والمركبات والسيارات والجسور والسدود وكل الاعمال الهندسية الكبيرة فما يعجز القلم عن وصفهِ لكثرتهِ وتنوعهِ

والبناء كلهُ بسيط ساذج كما ترى في صورتهِ لكنهُ فخم مهيب تراهُ عنوان القوة والمتانة كأن المهندسين ارادوا ان يمثلوا بهِ ما في مصنوعاتهم من القوة والمتانة

(٥) معرض الصناعة

بناء هذا المعرض رحب جداً يملأ نحو عشرة افدنة من الارض وهو مقسم اقساماً كثيرة حسب انواع المعروضات مسقوفة كلها بزجاج مفشى حتى يقيها من المطر ويدخل اليها النور المستطير لا الاشعة المستقيمة. ترى في هذه الاقسام كل ما تفنن

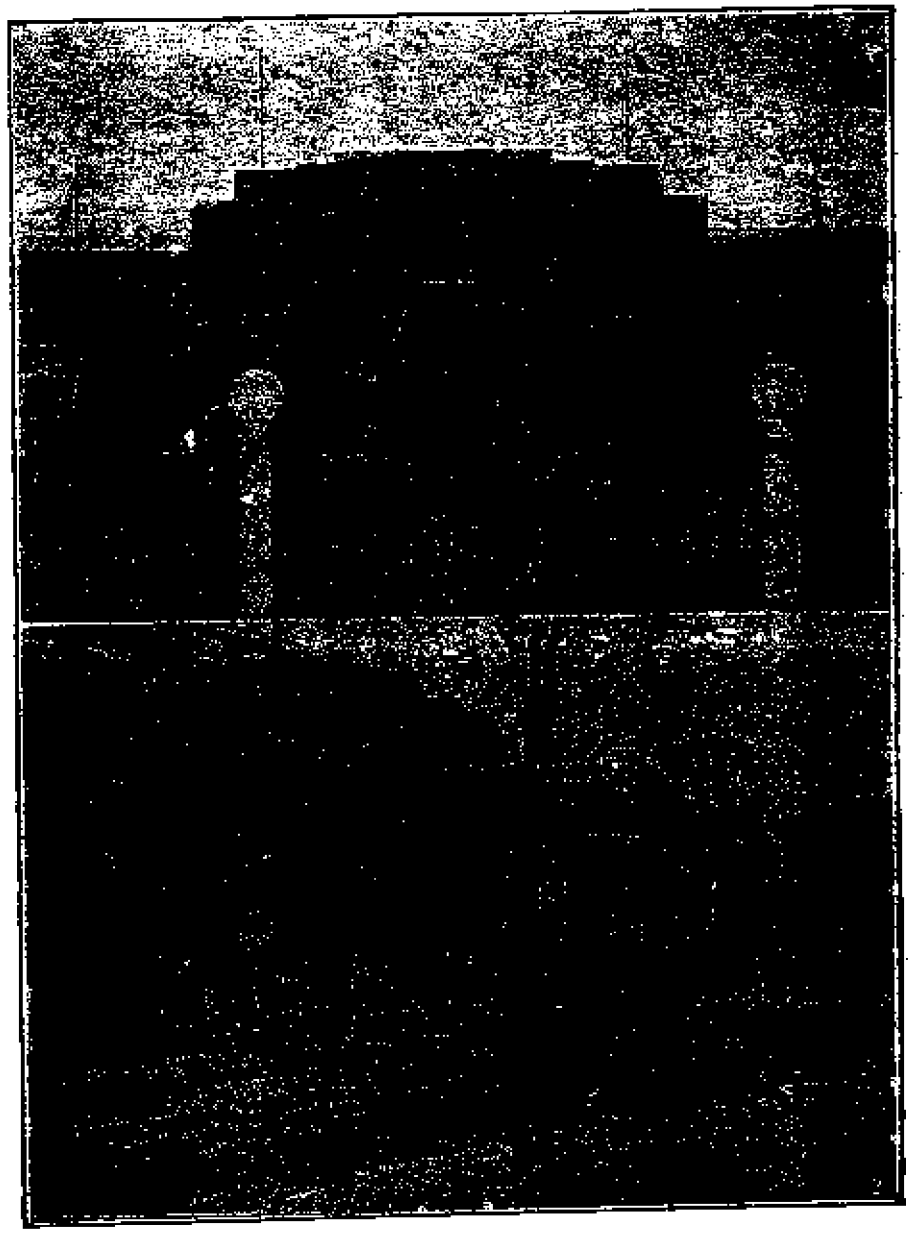

العليا صورة معرض الهندسة والسفلى صورة معرض الصناعة

الصناع في صنعه خلا ما عُرض في معرض الهندسة من كل ما يصنع من الخشب على انواعه ومن القنب والقطن والصوف والكتان والحرير والجلد والفراء والريش والشعر والصوف والورق والزجاج والحديد والنحاس والفضة والذهب والبلاتين وكل ما يرصع بالحجارة الكريمة على انواعها . وكل انواع الاطعمة والمربيات والمكسرات . ولا اظن انهُ يحتمل ان يخطر على البال شيء من مصنوعات البشر الاّ ويُرى منهُ امثلة كثيرة في هذا المعرض. وما عُرض من كل شيء كثير جدٌّ ولاسيما ثياب النساء كأن الغرض الاهم من عرضها ان يشتريهُ المشاهدون او يوصوا اصحابهُ على مثله والغاية الاولى منهُ تجارية ولكنهُ لا يقصر عن الفائدة العلمية وهي اظهار ما بلغتهُ الصناعة البريطانية من التنوع والاتقان وايقاف المشاهدين على الطرق التي تصنع بها تلك المصنوعات مثال ذلك عمل الورق فان الذين لم يروا كيفية عمله يتعذر عليهم ان يتصوروا كيف تصير الخرق الممزقة والاخشاب المتينة ورقاً صقيلاً للكتابة والطباعة . اما اذا زاروا هذا المعرض فانهم يرون المواد التي يصنع منها الورق تُمزق وتُعرث وتُمزج بالماء حتى تصير عصيدة كاللبن الذي يشاب بالماء الكثير ويصبُّ هذا المزيج على انسجة مبسوطة في آلة كبيرة فيخرج الماء من بين اليافها ويستمرُّ في سيره فوق السجة واساطين عماة الى ان يجف ويصير ورقاً. ومن حين انصباب العصيدة من حوضها الى ان تصير ورقاً في آخر الآلة ليس اكثر من بضع ثوان فاذا عددت عشرة متسهلاً رأيت المادة الخشبية او النباتية تصير ورقاً للطبع او للكتابة من غير ان تمسها يد انسان . ولا ينتظر ان مَن يرى هذه الآلة تصنع الورق يصير ورّاقاً او يصير قادراً على عمل آلة مثلها ولكنهُ يدرك كيف يصنع الورق وفي ذلك من اللذة العقلية ما فيه . وقد يكون من اصحاب الاموال الذين يستطيعون ان يبنوا معملاً للوراقة فيتوق الى ذلك ويستسهلهُ

او النظر الى كيف يغزل القطن ويقصر وينسج ويطبع ويصير منسوجات جميلة الالوان. ففي هذا المعرض معمل كامل لغزل القطن ونسجهِ وما اكثر الاجزاء التي تتألف منها آلة الغزل وآلة النسج وما ادقها واضبط حركاتها فان عجلاتها وسناراتها ومغازلها وامشاطها ودواساتها تتحرك كأنها احياء عاقلة حذقت العمل حتى صارت تجري فيهِ بسرعة تخطف الابصار .وما اسهر الرجال والنساء الذين يبادرون الى مساعدتها اذا وقع في عملها شيء من الخلل

ويتعذر عرض كل ما يدخل في صناعة القطن من الاعمال من حين زرعهِ الى

ان ينسج ويصبغ ويرزم ويشحن فجاءت السنا بصورها البديعة واباانت ذلك كلهُ فان في هذا المعرض مشهداً يرى المرء فيهِ كل الاعمال التي تدخل في صناعة القطن من حين تحرث ارضهُ الى ان ينسج ويشحن في السفن الى اقطار المسكونة . فترى القطن يزرع وينمو ويجنى ويحلج ويشحن في البواخر الى لفربول او منشستر وتفرغ هذه البالات وترسل الى المعامل وتشق ويخرج القطن منها ويندف ويغزل ويقصر وينسج قبل صبغهِ او بعدهُ وينوَّع نسجهُ على اشكال مختلفة وهلمَّ جرًّا الى ان ترزم منسوجاتهُ في بالات وترسل الى البواخر . ترى صور هذه الاعمال كلها في ساعة من الزمان وانت لو اردت ان ترى الاعمال نفسها في اماكنها لاضطررت ان ترى بعضها في مصر وبعضها في انكلترا ولقضيت في ذلك شهوراً . فسنا مثل هذه تستحق ان تحث الركاب لمشاهدتها من بلاد الى اخرى وان يراها المرء مراراً كثيرة لا مرة واحدة يراها ويعجب من مهارة الصنّاع الذين صنعوا هذه المغازل والاتوال ومهارة الصانعات اللواتي يراقبن الغزل في درجاتهِ المختلفة وكلما انقطع خيط وصلتهُ باسرع من لمح البصر . وهناك عمل آخر لم نرَهُ هنا ولكننا رأيناهُ في منشستر وهو الاساطين النحاسية التي تحفر على كل اسطوانة منها القطعة من الزهر او الورق او الشكل التي يراد ان تكون ملونة بلون خاص ويجب ان تكون هذه القطعة محفورة ومكررة على اسطوانة طولها اربع اقدام او اكثر في اماكن محددة بالدقة التامة حتى يتكون منها ومن غيرها ممَّا يحفر على الاساطين الاخرى ازهار او عروق او اشكال كاملة مختلفة الالوان ثم توضع تلك الاساطين في المطبعة التي تطبع بها الاقمشة وتغوص كل منها في صبغ خاص لونهُ مثل اللون الذي حفرت لاجلهِ . رأينا تلك المطابع تطبع منسوجات القطن والصوف والحرير فتخرج منها منقوشة باشكال بديعة زاهية الالوان او قاتمتها حسب الطلب . ورأينا في مخازن المعمل مئات من هذه الاساطين ان لم نقل الوفاً

وكيف اصف القسم الكيماوي من هذا المعرض وقد انفق عليهِ مجمع الكيماويين البريطانيين مائة الف جنيه وعرضوا فيهِ ما ابتدعتهُ الكيمياء من الاصباغ والعطور والادوية وما اشبه . او القسم الخاص بالقطن وقد بلغ ما انفق عليهِ ٢٥٠ الف جنيه وقس على ذلك اقسام الصوف والحرير والكتان والورق والساعات والخزف والزجاج والجلد والاثاث والبناء وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ وعملاً معروضاتهُ اسواق مدنية

وكنت ارى النساء في معرض الصناعة اكثر من الرجال ولاسيما امام معروضات الحلى والحلل ولا غرابة في ذلك